اشعار الحب الالهي
من رابعة العدوية الى ابن الفارض

د. نجم مجيد علي
الجامعة المستنصرية – كلية التربية الأساسية

المقدمة :

الحب ... هذا الدال المتمرد لا يحده حدود ولا يحويه تعريف ، حير العلماء وشغل بال الفقهاء والمنظرين قديماً وحديثاً ، قالوا فيه الأقاويل وألفوا عنه الكتب والمقالات غير أنه أبى الإذعان لكل هذه الأقاويل وهذه النظريات استهزأ من تعريفات افلاطون وأرسطو ومن مقاربات الجاحظ وابن حزم الأندلسي الذين حاولوا تعريفه وبيان أنواعه ومراتبه فيجعلون له بداية او قمة وسفحاً ويجعلون حب الإنسان لخالقه اسمى انواع الحب فهو يعني عند الفلاسفة المسلمين طاعة الخالق تعالى والالتزام بأوامره وتجنب نواهيه رغبة في الجنة وخشية من الجحيم .

ونظراً لتطور الحياة الفكرية عند المسلمين في العصر الاموي والعصر العباسي واختلاط المسلمين العرب بغيرهم من الأمم تعقدت حياتهم وتنوعت الامزجة والمعتقدات بظهور الملل والنحل حيث اخذ الفقهاء يفسرون الأمور تفسيراً عقلياً بحتاً قرب بعضهم من الزندقة والالحاد ولجأ آخرون الى التقرب من الذات الالهية عن طريق تفجير الطاقات العاطفية بعد أن اعتزلوا عن المجتمع وتفرغوا للعبادة فظهر الزهد وتطور الى تصوف معتدل ثم الى تصوف فيه غلو وتطرف ظهرت على شكل حب الذات الالهية الى درجة العشق والهيام والوجد وظهرت المقامات الصوفية والأحوال التي تحتاج الى مكابدة ومعاناة للانتقال بين واحدة واخرى.

وفي القرن الثالث الهجري ظهرت مفاهيم اخرى مثل حب الله والعشق الالهي والسكر الالهي وحب الجمال ونظريات الاتحاد بالذات الالهية او حلوله في جسم الصوفي وعبر الصوفية عن هذه المفاهيم بالشعر خاصة الذي صار مستغلقاً على عامة الناس وقريباً من الالحاد وهذا ما دفع الحكومات آنذاك لمحاربة هذه النزعات المتطرفة انتهت باعدام الحلاج (

سنة 309) وفرار بقية المتصوفة الى اماكن بعيدة ثم جاء جيل آخر وفق بين التصوف والسنة ولاسيما ظهور ابي حامد الغزالي المتوفى (سنة 505هـ) ثم صار الحب عاماً محبة خالصة صرفة بعيدة عن الكفر والالحاد ولاسيما على يد متصوفة القرن الخامس والسادس والسابع امثال محيي الدين بن عربي (ت640هـ) وابن الفارض (ت 632هـ) وفي بحثي هذا حاولت تسليط الضوء على مفهوم الزهد وتطوره الى مفهوم التصوف مع بيان تأثير ذلك على الحياة الدينية والعقلية للمسلمين ومدى تأثير هذا التطور على الادب شعراً ونثراً معززاً بالشواهد والامثلة .

والله ولي التوفيق .

المبحث الأول
تصويف الزهد وظهور أشعار الحب الالهي

ظهر الزهد مبكراً عند المسلمين الاوائل فكان من المسلمين من تزهد عن الحياة وملذاتها وانصرف الى العبادة واداء الشعائر الدينية من مفروضة وغير مفروضة من باب النوافل قربة الى الله الواحد الاحد ثم اخذ هذا التصوف يتحول رويداً رويداً عند المسلمين الى التصوف ابتداءً من اواسط القرن الثاني الهجري الى اواسط القرن الثالث الهجري وتسمى هذه المرحلة مرحلة انتقال من الزهد الى التصوف وكان من اهم خصائص هذه المرحلة ظهور نزعة الحب الالهي عند اوائل الزهاد المتصوفين امثال عبد الواحد بن زيد (ت 221هـ) وابراهيم بن الادهم (ت140هـ) والفضيل بن عياض (ت 178هـ) وبشر الحافي (ت 226هـ) ومعروف الكرخي (ت 200هـ) ورابعة العدوية القيسية الملقبة بشهيدة الحب الالهي في التفكير الصوفي[1] .

يرى عبد الحكيم حسان ان هذه المرحلة تمتد الى عصر الحلاج (ت309هـ) والشبلي (ت334هـ)[2] ويرى عدنان العوادي انها تمتد الى عصر الغزالي (ت505هـ) عندما افلت مدرسة بغداد الصوفية [3] .

---

[1] ينظر الرسالة القشيرية ص158 وادب الزهد في العصر العباسي د. عبد الستار السيد متولي ص269 .

[2] التصوف في الشعر العربي – عبد الحكيم حسان .

والواقع تأثر ما وصل الينا من الشعر والنثر الصوفيين وتلون بالافكار الصوفية بفضل الحارث المحاسبي (ت 234هـ) واخذت نزعة الحب الالهي ابعاداً واعماقاً فلسفية واسلوبية طبعتها بطابع الحب الالهي الصوفي المبكر تجلت في اشعار ذي النون المصري (ت 245هـ) ويحيى بن معاذ الرازي (ت 231هـ) والسري السقطي (ت226هـ) وابي يزيد البسطامي (ت 216هـ) .

والاهم من ذلك الاشعار والمقطعات المنسوبة الى رابعة العدوية القيسية (ت185هـ) والزاهدات المتصوفات الاخريات وهي ابيات ومقطعات قصيرة لا نجد فيها الافكار العميقة والصيغ الفنية الرمزية المعقدة والاساليب الغامضة والمصطلحات الصوفية المبهمة .

ان ما وصل الينا من اشعار المتصوفة الاوائل ليست صوفية كلياً فهي أقرب الى الزهد مثل الدعوة للقناعة والشكر والرضا وذم الدنيا وترك الشهوات والانصراف الكلي الى التدين والورع والفقر والتوكل والعزلة والوحدة وذكر الحياة والموت والثواب والعقاب مع ظهور بوادر النزعات الصوفية كالمحبة الالهية [1] .

ومن اهم ما تميز به هذا الفن الشعري الجديد اقتصار نظمه على المتصوفة وحدهم خلافاً لشعر الزهد وفنون الشعر كافة ، حيث كان المتصوفة وحدهم يفهمون رموزه وتأويلاته ثم يأتي طور ثان هو طور تصاعد نزعة الحب الالهي وما تولد فيها من مواقف وجدانية وعقلية صوفية كالغناء في الذات الالهية والوجد والشوق والاتحاد بالذات العليه وفي هذا الطور استقل الشعر الصوفي وتميز عن شعر الزهد وظهرت نظريات صوفية متطرفة كالاتحاد والحلول والمشاهدة وغير ذلك ويشهد هذا الطور ظهور ابي منصور الحلاج (ت 309هـ) وابي بكر الشبلي (ت334هـ) والجنيد البغدادي (ت 297هـ) والحزاز (ت 268هـ) وابي علي الروذباري (ت 322هـ) وسمنون المحب (ت303هـ) وان هذه الافكار

---

[3] ينظر الشعر الصوفي حتى ظهور الغزالي د. عدنان العوادي ص123 – 124 .

[1] ينظر حلية الاولياء ص8 – 10 والرسالة القشيرية ص158 .

الصوفية اصطدمت بالافكار الاسلامية المعتدلة وخلقت خصومات ومشاكل انتهت بمقتل الحلاج سنة 309هـ وفرار الشبلي وبقية المتصوفة الى بلاد الشام وفارس وغيرهما [2] .

ثم تأتي مرحلة ثالثة هي مرحلة الاعتدال ومرحلة الشعر الصوفي المتحفظ ذي الطابع السني ابتدات بالجنيد (ت 267هـ) واتباعه في الطور السابق ثم تمنهجت الافكار ووضعت لها قواعد معتدلة بفضل السراج (ت 378هـ) في كتابه اللمع والقشيري (ت465هـ) في رسالته المعروفة بالرسالة القشيرية

والكلاباذي (ت 380هـ) في كتابه التعرف لمذهب اهل التصوف وابي نعيم الاصفهاني (ت430هـ) في كتابه حلية الاولياء والسلمي (ت 412هـ) في كتابه طبقات الصوفية وقد اكتمل الاتجاه السني بفضل ابي حامد الغزالي (ت 505هـ) في كتابه احياء علوم الدين [1] .

وشهد الطور الثالث شعراً صوفياً غزيراً وخرجت الصوفية شعراء مبدعين عدواً من كبار شعراء العربية ورواد المدارس الشعرية الجديدة وعلى رأسهم محيي الدين ابن عربي (ت640هـ) وابن الفارض (ت 632هـ) ومن مشاهير شعراء هذا الطور كذلك القشيري والسراج ومرتضى الشهرزوري (ت 519 أو 520هـ) والرفاعي (ت578هـ) والمكزون السنجاري وابن الكيزاني ويحيى السهروردي (ت 587هـ)[2].

ثم تحولت الصوفية الى طرق ومشايخ شتى كالقادرية والرفاعية والنقشبندية في العراق والشاذلية والدسوقية والاحمدية والبدوية والاباظية في مصر وبلاد المغرب العربي وافريقيا وشرق آسيا [3] .

وخلال تطور الزهد الى التصوف كان الشعر والنثر الاداتين اللتين لجأ اليهما المتصوفة للتعبير عما يختلج في نفوسهم حيث كانوا يتناشدون اشعاراً في ادعيتهم وتذكاراتهم في اغراض زهدية واخلاقية من نظمهم احياناً ولشعراء آخرين على سبيل الاستشهاد التأويلي

---

[2] ينظر الشعر الصوفي حتى ظهور الغزالي – عدنان العوادي : ص123 – 124 .

[1] أدوار الشعر الصوفي – محاضرات للدكتور علي احمد الزبيدي مكتوبة على الآلة الكاتبة : ص8 .

[2] المصدر نفسه والصفحة .

[3] المصدر نفسه : ص9 .

الصوفي ... وقد غدت الاستعانة بشعر الاولين او انتحاله او تحويره وتحريفه ليوافق الغرض الصوفي المقصود عادة صوفية تقليدية [4] .

ومن ذلك قول ابراهيم بن الادهم :

انا حامد انا شاكر انا ذاكر انا جائع انا نائح انا عار
هي سنة وانا الضمين بنصفها فكن الضمين لنصفها يا باري
مدحي لغيرك لهب نار خفتها فأجر عبيدك من دخول النار
والنار عندي كالسؤال فهل ترى ان لا تكلفني دخول النار [1]

فهذه الابيات زهدية اكثر من كونها صوفية فيها الدعاء والتوسل وذم السؤال وغير ذلك ومن اقوال ابن الادهم :

للقمة بجريش الملح آكلها الذ من تمرةٍ تحشى بزنبور [2]

فالقناعة بلقمة مع جريش من الملح الذ واطيب من تمرة محشوة بلسعة زنبور أي ثمرة من مال حرام .

وعلى الرغم من تقريرية هذه الابيات المنسوبة للمتصوفة الاوائل التي يقربها من النظم ويبعدها عن الفنية ولكن هذا " لا يعني عدم وجود شعر صوفي صرف له بعض المزايا الفنية لبعض متصوفة القرن الثاني فلكل حالة ولا نقول لكل قاعدة بعض الاستثناءات ، وما يصح من شعر رابعة العدوية أحد هذه الاستثناءات وقد لا يكون الاستثناء الوحيد " [3] .

ولم تكن رابعة العدوية القيسية وحدها ممن تغنت بالذات الالهية وعشقته وفنيت فيه حباً وشوقاً فهناك ناسكات عابدات من الطراز الاول في دنيا التصوف امثال معاذة العدوية

---

[4] ينظر تصويف الزهد وظهور اشعار الحب الالهي محاضرات للدكتور علي احمد الزبيدي – مكتوبة على الآلة الكاتبة : ص4 .

[1] الرسالة العشرية ص82 ، وحلية الاولياء ص8 .

[2] حلية الاولياء ص12 .

[3] ينظر تصويف الزهد وظهور اشعار الحب الالهي ص11 .

ورابعة العدوية والسيدة عائشة بنت الامام جعفر الصادق عليهما السلام والسيدة نفيسة ابنة الحسن بن زيد [4] .

وذكر الجاحظ طائفة منهن بقوله " والناسكات المتزهدات " من النساء المذكورات في الزهد والرياسة من نساء الجماعة أم الدرداء ومعاذة العدوية ورابعة القيسية ومن نساء الخوارج صمادة الصفوية وغزالة الشيبانية ومن نساء الغالية الميلاء وحميدة ، وليلى الناعظية [1] .

واشهرهن على الاطلاق رابعة العدوية القيسية (ت 185هـ) وانها كانت جارية اعتقها سادتها فاحترفت العزف على الناي وعاشت مدة كما تعيش القيان ثم تابت وزهدت وبالغت في التقشف والعبادة وظهرت في اقوالها ومسلكها البوادر الاولى للتصوف الاسلامي ولأشعار الحب الالهي [2] وتنسب لرابعة العدوية القيسية هذه اربعة ابيات كافية فسرت تفسيراً صوفياً تدل على مدى عشقها للذات الالهية وهناك من يرى ان هذه الابيات انما هو لشاعر اخر هو آدم بن عبد العزيز حفيد الخليفة الاموي الزاهد عمر بن عبد العزيز وقد انتبه الى هذا الدكتور عمر فروخ وابيات آدم بن عبد العزيز كافية ايضاً وفي الغزل الانساني احدثت عليه رابعة العدوية بعض التغيير في الالفاظ والقافية وفي صياغتها الفنية لتلائم الافكار الصوفية وابيات آدم هي :

احبك حبين لي واحد — واخرى إنك اهل لذاك

فاما الذي هو حب الطباع — لشيء خصصت به عن سواك

واما الذي هو حب الجمال — فلست ارى ذاك حتى اراك

ولست امن بهذا عليك — لك المن في ذا وهذا وذاك[3]

فالوزن هو المتقارب والقافية كافية ساكنة او مفتوحة احياناً وقامت رابعة بتغيير الفاظ هذه الابيات وجعلت القافية بالكاف المطلقة وسنأتي على ذكر ابيات رابعة العدوية الأربعة ومدلولات الفاظها في المبحث الثالث .

---

[4] ينظر دائرة المعارف الاسلامية مادة تصوف ص290 – 292 .

[1] الحيوان ج5 ص170 .

[2] تصويف الزهد وظهور اشعار الحب الالهي ص13 .

[3] ينظر : المصدر نفسه ص14 .

ولرابعة العدوية ابيات ومقطعات تؤكد شدة محبتها للذات الالهية تدور حول الدعاء والضراعة والتوسل والتقرب للذات الالهية كقولها :

باسروري ومنيتي وعمادي وانيسي وعدتي ومرادي
انت روح الفؤاد انت رجائي انت مؤنسي وشوقك زادي
انت لولاك يا حياتي واني ما تشتت في فسيح البلاد
كم بدت منة وكم لك عندي من عطاء ونعمةٍ وايادي
حبك الآن بغيتي ونعيمي وجلاء لعين قلبي الصادي
ليس لي عنك ما حييت براح انت مني ممكن في السواد
ان تكن راضياً علي فأني يا منى القلب قد بدا اسعادي[1]

والطابع الحسي ظاهر بكل جلاء في هذه الابيات ويلوح منها ان الامر كان ما يزال مختلطاً عليها لان الخطاب هنا يصح ان يتجه الى شخص حسي كما يصلح ان يتجه الى الله تعالى [2] .

والابيات ثقيلة بكثرة المتعاطفات وبتكرار ضمير الخطاب وفقيرة الى الماء والرونق والشاعرية كقولها " وجلاء لعين قلبي " وهل للقلب عين واذن وانف ؟

المبحث الثاني
تطور مفهوم الحب الالهي

كان الزهد قد نشا مبكراً في المجتمع الاسلامي بسبب انصراف بعض المسلمين الى العبادة وترك الدنيا وملذاتها والالتزام الشديد بالفرائض والتعاليم الدينية ومن الاسس الرئيسية للزهد الايمان المطلق بالله تعالى وانبيائه ورسله وكتبه السماوية والايمان بالحياة الآخرة وبمبدأ الحساب والثواب والعقاب في الآخرة .

ويشترط عند الزاهد توافر الصبر والورع وترك الدنيا والتوكل والقناعة ومساعدة الفقراء والمحتاجين وتعرف احوالهم والعناية بهم وهذا ما يظهر جلياً من خطب اعلامهم واشعار

---

[1] الروض الفائق في المواعظ والرقائق – الشيخ الحريفيش ص117 .

[2] تصويف الزهد وظهور اشعار الحب الالهي ص18 . ينظر شهيدة العشق الالهي ص24 / 27 .

شعرائهم امثال الحسن البصري في النثر وشعر ابي العتاهية وصالح بن عبد القدوس ومحمد بن حازم الباهلي ومحمود الوراق وغيرهم .

وعند ظهور بوادر التصوف في منتصف القرن الثاني انتقلت مفاهيم الزهد الى التصوف واصبحت ما تعني عندهم المقامات والاحوال فالمقامات عند الصوفية سبعة هي: التوبة ، الزهد ، الفقر ، التوكل ، الورع ، الصبر ، والرضا. والاحوال عندهم كثيرة عدد منها القشيري اربعاً واربعين حالة منها التوبة ، المجاهدة ، التقوى ، الخوف ، الرجاء ، الحزن ، الجوع وترك الشهوة ، الخشوع، مخالفة النفس ، القناعة ، التوكل ، الشكر ، اليقين .

يتدرج الصوفي في هذه الاحوال وصولاً الى اعلى المراتب والاحوال التي هي :-

المعرفة بالله ، الشوق الى لقاء الخالق ، طاعة المشايخ ، السماع والرؤيا . حيث ترفع الحجب بين الصوفي والذات الالهية ومن المعارف الصوفية المعتدلة حب الذات الالهية حباً خاصاً قد يصل الى درجة العشق وحب الجمال فالله جميل يحب الجمال والقلب يعشق كل جميل وكل جميل في الكون صدى للجمال الالهي.

" وهكذا تحولت موضوعات الزهد الى موضوعات تصوف وتكونت البادرة الاولى للنزعات الصوفية الاولى وفي مقدمتها نزعة الحب الالهي وابعادها العاطفية والنفسية والتي مضت تتعقد وتمتزج بنظرات عقلية وتقترن بما سماه الصوفية بعد ذلك الفناء في حب الله والمشاهدة ثم تداخل الحب الالهي بالحلول والاتحاد الصوفيين " [1] .

ومن اصطلاحات الصوفية : الحب ، والشوق ، والعشق ، والوجد ، والفناء ، والبقاء " والحب ميل القلب والعواطف الى المحبوب وحب العبد لله تعالى شرعاً ، معناه طاعة اوامره واجتناب محارمه وايثار ذلك على كل شيء " [2] .

وهذا المفهوم للحب هو عقلي وهو حب الوفاء والاخلاص للخالق العظيم وما يطلق عليه حب التعظيم والاحترام والتقدير وحب الله تعالى لعباده هو " رضاه عنهم واحسان جزائهم يوم الجزاء فلا يسقط غضبه وعذابه بل يشملهم برحمته التي اعدها لعباده المتقين[3] .

---

[1] تصويف الزهد وظهور اشعار الحب الالهي – محاضرات الدكتور علي الزبيدي مكتوبة على الآلة الكاتبة: ص4 .

[2] الرسالة العشيرية ص158 وادب الزهد في العصر العباسي ص219 .

[3] ينظر ادب الزهد في العصر العباسي ص319 .

ثم تطور في اواسط القرن الثاني الهجري الى حب عقلي ليس الهدف منه الرغبة في الثواب والخشية من العقاب بل يقصد به مطالعة وجهه الكريم والاستمتاع بجماله وهكذا اصبح حب التعظيم يعني عند الصوفية حب الجمال وصارت المحبة الالهية حالاً من احوال التصوف[4] .

وإذا كان الحب عند اوائل الزهاد يعني حب الذات الالهية وان يكون الحب لله وحده دون انشغال القلب بحب المخلوقين فإن هذا المفهوم عند عبد الواحد بن زيد المتوفى سنة 241هـ يعني التقرب الى الذات الالهية بالصبر والرضا وهما رأس المحبة[5] وعبد الواحد بن زيد هو الراوي للحديث القدسي الآتي عن الحسن البصري وهو قوله " اذا كان الغالب على عبدي انشغاله بي جعلت نعيمه ولذته في ذكري فاذا جعلت نعيمه ولذته في ذكري عشقني وعشقته فاذا عشقني وعشقته رفعت الحجاب فيما بيني وبينه "[6].

وهذا الحديث بدل صراحة على تحول معنى الحب الى معنى اخر هو العشق ولعلهم كانوا يعرفون ان الحب مرتبط باسبابه يقوى بالقرب ويضعف بالبعد على وفق الظروف والاحوال . وهذا الحب ثابت ازلي وممن دعا الى هذا النوع من الحب من تلاميذ عبد الواحد بن زيد شفيق البلخي وعتبة الغلام ويحيى الواسطي ويدعو صوفي اخر هو ابراهيم بن الادهم (ت140هـ) الى دوام حب الله والانشغال به دون سواه والصوفية عنده هم المحبون وهم المشتاقون [1] ويظهر في الطور الاول لظهور التصوف زاهدات كثيرات وعابدات ناسكات امثال معاذه العدوية والسيدة نفيسة بنت الحسن بن زيد والسيدة عائشة بنت الامام الصادق عليهما السلام كما تظهر صوفيات اخريات اشهرهن عاشقة الذات الالهي رابعة بنت اسماعيل العدوية القيسية المتوفاة سنة 185هـ وعلى الرغم من ان بعض الباحثين اخذ يبحث عن جذور فكرة المحبة الالهية في الديانات الاخرى كالمسيحية المعروفة بكثرة الرهبان والنتساك الذين يتبتلون لله تبتيلا ويعزلون انفسهم عن المجتمع للعبادة والذكر الا ان الراجح

---

[4] تاريخ التصوف الاسلامي من البداية حتى نهاية القرن الثاني د. عبد الرحمن بدوي ص211 .

[5] المصدر نفسه والصفحة .

[6] المصدر نفسه والصفحة .

[1] ينظر المصدر نفسه ص234 ، 235 .

ان الزهد والتصوف ذو جذر اسلامي خالص لوجود ايات كثيرة في القران الكريم تشير الى فكرة الحب بين الله وعباده كقوله تعالى " ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله " [2] وقوله تعالى " فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه"[3] وقوله تعالى " الذين امنوا اشد حباً لله " [4] .

وفي الوقت الذي يرى فيه اهل السنة والجماعة ان المقصود هنا حب الطاعة والعبادة والتعظيم يراه اهل التصوف المحبة والعشق والفناء بالمحبوب والشوق الى لقائه وقد ترجمت هذه المفاهيم الصوفية عن الحب الالهي الى اقوال واشعار عرفت باشعار الحب الالهي الذي ظهر في شعر رابعة العدوية القيسية ، وما نسب الى شخصيات صوفية اخرى عاشت في النصف الاول من القرن الثالث ولم يكن من ابتداع رابعة ، والبادرة الاولى من اشعار الحب الالهي " كانت في تناشد المتصوفة الاوائل بعض اشعار الغزل العذري الانساني لغرض الاستشهاد الملائم لما يعتلج في نفوسهم من محبة الله والاخلاص الشديد المتناهي في هذه المحبة الصوفية الخالصة ، وكانوا يتناشدون ايضاً اشعاراً في اغراض زهدية واخلاقية اخرى لشعراء سابقين او معاصرين لهم على سبيل الاستشهاد التأويلي الصوفي " [1] .

حتى ادى ذلك الى تحوير الشعر الاعتيادي لشعراء معاصرين لهم ليوائم المعاني الصوفية مثل تحوير ابراهيم بن الادهم وهو من أوائل المتصوفة الزهاد ابياتاً للشاعر العباسي ابن الرومي في ذم الدنيا وبكاء الطفل في ساعة ولادته [2] ولابراهيم بن الادهم وغيره من الصوفية اشعار تصب كلها في معنى الصبر والقناعة والورع وذم الدنيا والاكتفاء بالقليل من الزاد والابتعاد عن اهل السلطان والجاه والمال .

أما فيما يتعلق بالمحبة الالهية فقد تبلورت الفكرة ونضجت على يد الحلاج والشبلي في القرن الثالث للهجرة .

---

[2] آل عمران : الاية 31 .

[3] المائدة : الاية 54 .

[4] البقرة : الاية 16 .

[1] تصويف الزهد وظهور اشعار الحب الالهي – د. علي الزبيدي ص4 .

[2] ينظر حلية الاولياء – ابو نعيم الاصفهاني 8 / 12 والرسالة القشيرية ص82 .

لاحظ الحلاج " ان الناس في عبادتهم لله تعالى خوفاً وطمعاً فقط يهدرون اسمى رابطة يمكن ان تجمع بين الخالق والمخلوق الا وهي الحب واذا كان الله قد خلق الخلق ليعبدوه فان هذا يعني انه خلقهم ليعشقوه وهذا هو السبب في انه خلق آدم على صورته ، ولو لم تكن صورة آدم جميلة ومحبوبة لما ساغ للانسان ان يتلبس بفعل الهي مباشر هو صفة من صفات الله ، فكان آدم الصورة المادية لله " [3] .

عد الحلاج العشق صفة من صفات الله تبدأ منه لتنتهي بالعباد ومن الحب النازل والصاعد يتسق العالم وينتظم ويسعد وتزول الشرور وترتفع مطالب البدن ومطامح الافراد والجماعات ورؤى القوة والتسلط [1] يقول الحلاج :

لما بدا البدء ابدى عشقه صفة

فيما بها فتلالا فيه لألاء

واللام بالالف المعطوف مؤتلف

كلاهما واحد في السبق معناه

وفي التفرق اثنان اذا اجتمعا

بالافتراق هما عبد ومولاه

كذا الحقائق نار الشوق ملهبة

عن الحقيقة ان باتوا وان ناؤوا

ذلوا بغير اقتدار عندما ولهوا

ان الاعزا اذا اشتاقوا اذلاء [2]

والدين عند الحلاج هو " التواصل بين المحب والمحبوب او الرب والمربوب على طريق العشق ومن هنا فالدين الحقيقي هو الطموح الى الوصول الى المثل الاعلى حباً"[3].

وللحلاج ابيات متشابهات أي يمكن ان يقصد بها الانسان او خالق الانسان كقوله :

---

[3] شعر الحلاج – كامل مصطفى الشيبي ص17 .

[1] المصدر نفسه ص 17 .

[2] شعر الحلاج – كامل مصطفى الشيبي ص17

[3] المصدر نفسه ص19 .

انا من اهوى ومن اهوى انا نحن روحان حللنا بدنا

فاذا ابصرتني ابصرته واذا ابصرته ابصرتنا

وقوله :

نسمات الريح قولي للرشا لم يزدني الورد الاعطشا

لي حبيب حبه وسط الحشا ان يشأ يمشي على خدي مشى

روحه روحي وروحي روحه ان يشأ شئت وان شئت يشا

ويعلق كامل الشيبي على مثل هذه الاشعار بقوله " وكان للحلاج قسم من الغزل الحسي وقد عبر عنه تعبيراً حمل النقاد من غير المنبحرين على اضافته الى التصوف والحب الالهي"[1].

ويبدو ان مقتل الحلاج على يد السلطة المركزية انذاك خفف من غلواء هذا الحب بظهور طور اخر للشعر الصوفي هو دور التوفيق بين الافكار الصوفية والشريعة واحكام القران والسنة النبوية عند ابي نصر السراج صاحب اللمع وعبد الكريم القشيري صاحب الرسالة المشهورة وابي علي الروذباري وغيرهم حيث نجد تطوراً هادئاً لفكرة الحب الالهي عندهم وربطهم الحب الالهي بالطاعة والعبادة واداء الفرائض وعدم رفع التكاليف كامتياز خاص لمن يصل الى درجة الولاية ... فاداء الاركان هو اساس الايمان وان فكرة الحب والعشق على رأي هؤلاء هو بين انسان وانسانة وبين الرجل والمرأة او قل بين الذكر والانثى لا بين الانسان المجسد بصورته الحسية والخالق الذي لا يجمعه صفات ولا تحده حدود وقد ارسى هذه المفاهيم ابو حامد الغزالي المتوفى سنة 505هـ في كتابه احياء علوم الدين ولكن لم تنته الاتجاهات المختلفة للتعبير عن الحب الالهي الذي كان بمثابة التعبير عن وفاء الروح لخالقها فاهل المحبة الذين اصطفاهم الله اصطفاءً هم القادرون على الوفاء لخالقها وكان من ذلك ان يهيم الصوفي بالحسن ... وكانوا اذا رأوا وجهاً جميلاً او سمعوا صوتاً

[1] المصدر نفسه : ص10 – 11 .

رقيقاً او يشهدوا منظراً رائعاً اخذوا به ورأوا فيه امارة على الجمال الالهي المطلق ورمزاً له " [2] .

وانهم رمزوا باسماء ليلى ولبنى والاخريات من عرائس الشعر الغزلي للتعبير عن الحب الالهي والفاظ اخرى مثل الحي والديار والنار ، والوجد ، والبعد ، والقرب ، والذي يقرأ او يسمع شعر هولاء الصوفية يسبح في عوالم روحية ليحقق حلماً من احلام اليقظة يمتص ما تغشى النفس من قلق روحي او ضجر نفسي واذا شددنا عصا الترحال الى القرن السابع الهجري نجد انفسنا امام علمين من اعلام الشعر الصوفي تجلى على ايدهما شعر الحب الصوفي الالهي والسكر الالهي والخمر الالهي هما محيي الدين بن عربي (ت 640هـ) وابن الفارض (ت 632هـ) حتى ليصح ان نسمي هذا القرن بعصر ابن عربي وابن الفارض ، ومن غزل ابن عربي الصوفي قوله :

يا حسنها من طفلة غرّبها تضيء للطارق مثل السرج
لؤلؤة مكنونة في صدف من شعر مثل سواد النسج
لؤلؤة غواصها الفكر فما تنفك في اغوار تلك اللجج
يحسبها ناظرها ظبي نقا من جيدها وحسن ذاك الغنج

ويسمي ابن عربي ديوانه ترجمان الاشواق ويرى ان العارفين لا يستطيعون ان ينقلوا مشاعرهم جملة على غيرهم من الناس وكل الذي يستطيعونه ان يرمزوا اليها فوجنات الحبيب الموردة تمثل عنده ذات الله منكشفة في صفاته وغدائرها الليلية تصور الواحد محجوباً بالكثرة [1] .

وابن عربي يعلن على الملأ ان ليس دين ارفع من دين الحب والشوق الى الله فالحب خلاصة النحل جميعاً والصوفي الصادق يرحب بدين الحب على أي صورة تبتدئ يقول :

لقد صار قلبي قابلاً كل صورة فمرعى لغزلان ودير لرهبان
وبيت اوثان وكعبة طائف والواح توراة ومصحف قرآن

---

[2] الشعر الصوفي حتى ظهور الغزالي : ص183 .

[1] تاريخ الادب العربي عصر الدول والامارات / د. شوقي ضيف ص212 .

ادين بدين الحب أني توجهت ركائبه فالحب ديني وايماني

لنا اسوة في نشر هند واختها وقيس وليلى ثم ميّ وغيلان

ويشرح ابن عربي البيت الاخير بقوله : الحب من حيث هو حب لناولهم حقيقة واحدة غير ان المحبين مختلفون لكونهم تعشقوا بكون وانا نعشق بعين والشروط والاسباب واحدة [2] .

والقطب الاخر من اقطاب الصوفية في القرن السابع هو عمر بن الفارض الملقب امام العاشقين وامام المحبين الذي " نسخ آية العشق ممن قبله حتى اصبح من حقه ان ينادي كل من يأتي بعده ان يقتدي به ويهتدي ولا تزال قصائده الصوفية تحدث دويها في المحافل الصوفية والمنتديات الادبية وقد ترجمت تائبته الكبرى الى الفرنسية والانجليزية والاسبانية ... يقول نيكلسون عنه (لم يقم في العرب قبل ابن الفارض مثيل ولم يعرف بعده ضريب) [1] .

وكان ابن الفارض شديد التأثر بالجمال حتى بجمال الجمادات ... " وكان يسحره جمال الالحان فاذا سمع انشاداً جميلاً استخفه الطرب فتواجد ورقص ولو على مشهد من الناس " [2] .

ولابن الفارض شعر كثير ومطولات شعرية يلخص فيها احوال المحبين والعشاق وشهداء الغرام الالهي منها ميمته المشهورة ومنها :

ولو جليت سراً على أكمه غداً بصيراً ومن راووقها يسمع الصمّ

ولو ان ركبا يمموا قرب ارضها وفي الركب ملسوع لما ضره السم

تقدم كل الكائنات حديثها قديماً ولا شكل هناك ولا رسم

واهم من هذه تائبته الكبرى " نظم السلوك " التي مطلعها :

سقتني حميّا الحب راحة مقلتي وكأسي محيا من على الحسن جلت

---

[2] ينظر التصوف الاسلامي – نيكلسون ص32 وادب الزهد في العصر العباسي ص377 .

[1] في التصوف الاسلامي : ص32 وادب الزهد في العصر العباسي ص 374 .

[2] امراء الشعر العربي في العصر العباسي ص374 ، انيس المقدسي ص439 – 443 .

وهي قصيدة فريدة في الأدب العربي ويقابلها العلامة هامر بنشيد الانشاد في التوراة [3] .

فالتائية الكبرى نشيد الوجد الروحي فيها نشعر بذلك الحب الاسنى الذي يملك على الناظم حواسه فيسكره وينقله من عالم المادة الى عالم الروح وذلك الفوز النهائي .

والحب الحقيقي هو الذي ينتهي بتلاشي ارادة المحب واتحاده في حقيقة المحبوب كما تتلائى ارادة طفل صغير فيرمي بنفسه في احضان امه وابيه دون مقاومة [1] .

المبحث الثالث

خصائص اشعار الحب الالهي

يستطيع الباحث من خلال استقراء النصوص الشعرية الصوفية ان يخرج بطائفة من الخصائص التي يتميز به هذا الشعر ولاسيما عند الشعراء الكبار من المتصوفة امثال ابي منصور الحلاج وابي بكر الشبلي وابن عربي وابن الفارض وغيرهم من شعراء التصوف الاسلامي ومن هذه الخصائص :

1- التباين الدلالي :

يفرق الصوفية بين علم الظاهر وعلم الباطن ويقصدون بعلم الظاهر اساساً علم الشريعة لانه يتعلق بالاعمال الظاهرة كاعمال الجوارح الظاهرة وهي العبادات والاحكام الشرعية اما علم الباطن فيتعلق بالاعمال الباطنة كاعمال القلوب وهي المقامات والاحوال مثل التصديق والايمان واليقين والصدق والاخلاص والمعرفة والتوكل والمحبة والرضا والذكر والشكر ... والخوف والرجاء والصبر والقناعة ... والقرب والشوق والوجد والوجل والحزن والندم والحياء والخجل والتعظيم والاجلال والهيبة [1] .

ولكل اسم من هذه الاسماء معنى معين محدد في معاجم اللغة اصطلح عليه الناس وتداولوها خلفاً عن سلف لكن هذه الاسماء تفقد دلالاتها في التفكير الصوفي فالصبر مثلاً

---

[3] المصدر السابق نفسه : ص458 – 459 .

[1] امراء الشعر العربي في العصر العباسي ص459 .

[1] تصويف الزهد وظهور اشعار الحب الالهي – مكتوبة على الالة الكاتبة ص7 .

يعني عندهم الصبر عن المكروه والصبر عن المحبوب والصبر عن الصبر وما شابه ذلك ليكون للصبر مدارج ومراتب ومثل ذلك في التوكل والندم والحياء والخجل والتعظيم والمشاهدة والطاعة وما شابه ذلك ، ولنقف عند معنى المحبة لنجد ماذا تعني هذه المفردة وكيف تختلف بين عامة المسلمين وبين المتصوفة تقول رابعة العدوية القيسية تخاطب الذات الالهية :

احبك حبين حب الهوى وحباً لانك اهل لذاكا
فأما الذي هو حب الهوى فشغلي بذكرك عمن سواكا
وأما الذي انت اهل له فكشفك لي الحجب حتى اراكا
فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي ولكن لك الحمد في ذا وذاكا

اذن فهناك حبان على راي رابعة خاص وعام بين المخلوق والخالق النوع الاول هو حب الهوى أي رأيتك فاحببتك عن مشاهدة اليقين لا من خبر وسمع ، وتصديق عن طريق النعم والاحسان من طريق العيان فقربت منك وهربت اليك وتفرغت لك وحدك .

وأما الحب الثاني الذي هو اهل له يعني حب التعظيم والاجلال لوجهه العظيم ذي الجلالة والاكرام ثم اني مع ذلك لا استحق هذا الحب ولا استأهل ان انظر اليك في الاخرة لان حبي لك لا يوجب لك جزاء عليه بل يوجب على كل شيء محالاً ان اطبقه ولا اقوم عليه [1] .

فالحب الذي هو ميل القلب والعواطف الى المحبوب وحب العبد له شرعاً معناه طاعة اوامره واجتناب محارمه وايثار ذلك على كل شيء وقد قال الرسول (ص) من علامة المؤمن ان يكون الله ورسوله احب اليه من سواهما [2] وهذا الحب بمعناه الشرعي هو حب عقلي لا عاطفي غير ان هذا المفهوم الشرعي للمحبة تحول من معناه العقلي الى معان اخرى بفضل تطور الحياة العلمية والفكرية في الدولة الاسلامية الى شيء من الدقة والعمق

---

[1] شهيدة العشق الالهي ص47 – 48 . وينظر الشعر الصوفي حتى ظهور الغزالي – د. عدنان العوادي ص123 والتصوف الاسلامي في الادب والاخلاق د. زكي مبارك 1 / 288 .

[2] الرسالة القشيرية ص158 ، وادب الزهد في العصر العباسي ص269 .

فاصبحت لفظة حب الله تعالى تطلق على العلاقة بين العبد والخالق تعالى بحيث لا يقوم على خوف من عقاب او رغبة في ثواب بل يقصد به مطالعة وجهه الكريم والاستمتاع بجماله [3] .

ومثلما خرجت لفظة المحبة عن مدلولها المعجمي الى مفاهيم اخرى عند الصوفية كذلك بقية الاسماء التي صارت عندهم مقامات واحوالاً فالوجد مثلاً عند المحبين من الناس تعني شدة الشوق وعدم الصبر عن المحبوب اصبحت عند الصوفية تعني حالة من الهستيريا واصدار اصوات والرقص حتى الاغماء عند سماعهم صوتاً جميلاً او منظراً جميلاً او وجهاً صبوحاً " وكانوا اذا رأوا وجهاً جميلاً او سمعوا صوتاً رقيقاً او شهدوا منظراً رائعاً اخذوا به ورأوا فيه امارة على الجمال الالهي المطلق ورمزاً له " [1] .

" وكان الزفير والشهيق والبكاء والغشية والانين والصعقة والصراخ والصيحة امارات تنم عن نفاذ الصبر وخروج الامر عن الكتم " [2] فتحول الوجد من مجرد الشوق الزائد الى المحبوب الانساني الى حالة هستيرية للمحبوب الاعظم والشوق للقائه وهم بذلك احبوا الموت وتمنوه لانه الطريق الذي يوصلهم الى الله تعالى .

---

[3] ينظر ادب الزهد في العصر العباسي : ص370 .

[1] الشعر الصوفي حتى ظهور الغزالي : ص183 .

[2] المصدر السابق نفسه : ص195 .

2- فكرة القطب والجوانب الستة :

يعتقد الصوفية ان الله تعالى مصدر كل شيء وخالق كل شيء ويشاركهم في هذا عامة المسلمين الا انهم يعتقدون ان كل الاشياء تدور حول الذات الالهية كما تدور الاجرام السماوية حول الشمس وكما يطوف زوار الكعبة حول البيت من الاتجاهات الاربعة الشمال والجنوب والشرق والغرب واضافوا اليها اثنين هما الفوق والتحت لتصبح ستة وقد ترجموا ذلك في اشعارهم الصوفية كقول الحلاج :

العشق من ازل الازال من قدم فيه به منه يبدو فيه ابداء

وقوله :

كان الدليل منه اليه به من شاهد الحق في تنزيل قرآن

كان الدليل له منه به وله حقاً وجدناه في تنزيل فرقان [3]

وان تكرار حروف الجر مع ضمائر الغيبة افقد هذه الابيات الماء والرونق والجمال وصار قريباً من الركة حتى وصف شيخ الاسلام ابن الجوزي شعر الحلاج بانه غير " مهذب " [4] .

ومثل هذا قوله :

كان الدليل له منه به وله من شاهد الحق في تنزيل فرقان

كان الدليل له منه به وله حقاً وجدناه بل علماً بتبيان

هذا وجودي وتصريحي ومعتقدي هذا توحد توحيدي وايماني [1]

وهذا الشغف الزائد بالضمائر جعل الشعر الصوفي يفقد فنيته على حساب المعنى يقول الحلاج ايضاً :

يا كل كلي ، وكل الكل ملتبس وكل كلك ملبوس بمعنائي

وقد دفع تزاحم الافكار الصوفية في اذهان المتصوفة الى تكرار كلمات وجمل أخلت بالموسيقى الشعرية مثل قول الحلاج :

---

[3] شعر الحلاج – كامل الشيبي : ص5 – 6 .
[4] المصدر السابق نفسه : ص7 .
[1] شعر الحلاج : ص15 .

لا نوار نور النور في الخلق انوار

وللسر في سر المسرين اسرار [2]

وتكثر في اشعارهم اسلوب النداء عند مناجاتهم لله تعالى وحروف الرجاء وافعال التوسل والضراعة والقناعة والاستفهام وغير ذلك .

3- الخمر الالهي والسكر الالهي :

وهذه ميزة اخرى نجدها في شعر الصوفية ظهرت في اشعار متصوفة القرنين الخامس والسادس الهجريين وان كان جذرها موجوداً عند شعراء القرن الرابع لدى الشبلي والروذباري وغيرهما .

والسكر الالهي حالة من الدهش الفجائي يعتري المحب فيذهله عن كل حس غير حضور الحبيب ويغمر نفسه بنشاط دفاق يوقد فيه الوله والهيجان وما كان ذلك يحدث لولا امتلاء قلب المحب لله تعالى ، فالسكر بخمرة المحبة لا بالخمرة المعروفة المحرمة دينياً يقول الشبلي :

ان المحبة للرحمن تسكرني

وهل رأيت محباً غير سكران ؟

والشراب الصوفي ليس خمراً تدير له الرأس وتثقل النفس بل تنعش الوجدان وتجلو عين البصيرة وتفتح امام القلب ارحب الآفاق [1] وفي حالة السكر هذه تحدث حالات الشطح التي تكون عند المحبين على شكل كلام يجري على لسانهم بعبارة مستغربة مشكلة على مفهوم سامعيها الا من كان من اهلها [2] وظهر في هذين القرنين شعراء بارزون جسدوا فكرة الحب الالهي والسكر الالهي من امثال ابي نصر السراج البغدادي صاحب مصارح العشاق والقشيري صاحب الرسالة القشيرية وابن العريف وبو مدين ومرتضى الشهرزوري والمكزون السنجاري والغزالي والرفاعي والكيلاني وابن الكيزاني وكان شعر بو مدين والشهرزوري يدور

---

[2] شعر الحلاج: ص5 .

[1] الشعر الصوفي حتى ظهور الغزالي : ص200 .

[2] اللمع لابن سراج الطوسي : ص453 – 454 .

في غالبه حول رمز الحب والمرأة والحب والخمرة الالهية والانتشاء بالسكر الالهي وان بدت الانثى تلميحاً لهذا الحب يقول بو مدين (ت 597هـ) .

تقول ناس قد تملكه الهوى اجل لست في ليلى اول من جنا

خفيت بها عن كل ما علم الورى فاظهر لبنى والمراد سوى لبنى

فأنه احب حتى درجة الجنون كغيره من المتصوفة المحبين فهو احب ليلى ولبنى وغيرهما رمزاً للذات الالهية المحبوب الاقدس .

4- عرائس الشعر الصوفي :

يجد المتلقي في شعر المتصوفة الكبار امثال ابن عربي وابن الفارض والشهرزوري والرفاعي والكيلاني وغيرهم اسماء انثوية مثل ليلى وسعاد وزينب ومي ولبنى وغيرهن كما يفعل شعراء الغزل الانساني امثال قيس بن الملوح وجميل بن معمر وذي الرمة وغيرهم من الشعراء الذين عرفوا بالحب والعشق فأن الصوفية رمزوا باسماء ليلى ولبنى والاخريات من عرائس الشعر للتعبير عن الحب الالهي والفاظ اخرى مثل الحي والديار والنار والوجد .... والبعد والقرب والذي يقرأ او يسمع شعر هؤلاء يسبح في عوالم روحية ليحقق حلماً من احلام اليقظة يمتص ما تغشى نفسه من قلق روحي او ضجر نفسي .

فليلى لم تعد ليلى العامرية بلحمها وشحمها وديارها ليست مضارب بني عامر بل تصبح رمزاً لحب اسمى هو حب للذات الالهية ويعلن ابن عربي (ت 640هـ) ان ليس دين ارفع من دين الحب والشوق الى الله فالحب خلاصة النحل جميعاً فالصوفي الصادق يرحب بدين الحب على أي صورة تبدّى يقول :

ادين بدين الحب أنى توجهت ركائبه فالحب ديني وايماني

لنا اسوة من نشر هند واختها وقيس وليلى ثم مي وغيلان[1]

ولكن المحبين يختلفون لكونهم (أي الشعراء العشاق) تعشقوا بكون والصوفية تعشقوا بعين [2] .

ولما كان الشاعر العاشق يرحل رحلة شاقة لرؤية من يحبها بعد ان اقترنت بغيره ويتجشم الصعاب ويتعرض للمخاطر والاهوال كذلك يفعل الشاعر الصوفي في رحيله نحو

---

[1] التصوف الاسلامي – نيكلسون ص32 وادب الزهد في العصر العباسي ص377 .

[2] ينظر ادب الزهد في العصر العباسي ص377 .

المحبوب " فليلى رمز للحب الالهي والرحلة بحث متواصل عن ليلى في اجواء الظلام والنار المنبعثة من ديار ليلى " ... وبين ضباب الدموع والبهاء الالهي يظهر الوجه الجميل الاقدس لهؤلاء المحبين الذين ينظرون اليه في بهر وخشوع فيحصل الرضا ويحصل الاطمئنان وقصيدة مرتضى الشهرزوري خير من يمثل هذه الرحلة الشاقة :

لمعت نارهم وقد عسعس الليـ ـل وملّ الحادي وحار الدليل
تاملتها وقلت لصحبي هذه النار نار ليلى فميلوا
وهي تعلو ونحن ندنو الى ان حجزت دونها طلول محول
فدنونا من الطلول فحالت زفرات من دونها وغليل
قلت من بالديار قالوا جريح واسير مكبل وقتيل

ويعلق شوقي ضيف " انه لا يزال سارياً طوال الليل يبحث عن نار الذات الالهية وقل انه يتخذ النار رمزاً للمنازل على عادة الشعراء الغزليين " [1] والقصيدة من اروع ما خلق الصوفية على مر الحقب . واسماء عرائس الشعر عند ابن الفارض مثل مي ، وعتب ، وريا ، وسلمى وليلى وسواهن هي مرايا تعكس لنا نور المحبوب الاسنى .

وما الوجد والشوق والوصل ، والهجر ، والعذل ، والتعذيب ، والذل ، والنحول ، والموت ، والغدر ، والوفاء ، واللوم والعتاب ، والرضا واشباه هذه الاوضاع الغزلية الا اختبارات نفس شديدة الاحساس في سعيها نحو مصدر الجمال الاسمى الذي يبحث عنه ابن الفارض (ت 632هـ) في كثبان طيء وبذات الشيح وعريب الجزع وقد جعلته الرحلة ودوام السفر نحو المحبوب الاسنى كهلال الاول من رمضان خفاءً ودقة يقول :

سائق الاظعان يطوي البيدطي منعماً عرج على كثبان طي
وبذات الشيح عني ان مرر ت بحيّ من عريب الجزع حي
وتلطف واجر ذكري عندهم علهم ان ينظروا عطفاً الي
قل تركت الصبّ فيكم شبحاً ما له مما براه الشوق في
خافياً من عائد لاح كما لاح في برديه بعد النشر طي

[1] تاريخ الادب العربي عصر الدول والامارات ص412 .

كهلال الشك لولا انه ان عيني عينه لم تتأي
يا اهيل الود انى تنكرو ني كهلاً بعد عرفاني فتي [2]

وقوله :

هو الحب فاسلم بالحشا ما الهوى سهل
فما اختاره مضني به وله عقل
فمن لم يمت في حبه لم يعش به
ودون اجتناء النحل ما جنت النحل[3]

وقوله :

قلبي يحدثني بأنك متلفي روحي فداك عرفت ام لم تعرف
ما لي سوى روحي وباذل نفسه في حب من يهواه ليس بمسرف
يا مانعي طيب المنام وما نحي ثوب السقام به ووحدي المتلف
عطفاً على رهقي وما ابقيت لي من جسمي المفني وقلبي المدنف
فالوجد باقٍ والوصال مما طلي والصبر فانٍ واللقاء مسوفي
وبما جرى في موقف التوديع من الم النوى شاهدت هول الموقف
ان لم يكن وصل لديك فعد به أملي وماطل ان وعدت ولا تفي[1]

ومن شروط الصوفية اربعة اشياء يجب ان تتوافر في الصوفي هي : قلة الطعام ، وقلة المنام ، وقلة الكلام ، والاعتزال عن الناس ، ولهذا كان ابن الفارض شديد المؤاخذة على نفسه والذي يتأمل تائينه العجيبة يرى فيها آثار تلك الحال منها :

ودلهني منها ذهولي ولم افق عليّ ولم اقف التماسي بظنتي
فاصبحت فيها والهاً لاهياً بها ومن ولهت شغلاً بها عنه الهت

وقوله :

---

[2] امراء الشعر العربي في العصر العباسي ص464 – 465 .

[3] المصدر السابق نفسه : ص467 .

[1] امراء الشعر العربي في العصر العباسي : ص471 .

يشاهدها فكري بطرف تخيلي ... ويسمعها ذكري بمسمع فطنتي
ويحضرها للنفس وهمي تصوراً ... فيحسبها في الحسّ وهي نديمتي
فاعجب من سكري بغير مدامةٍ ... واطرب في سري ومنى طربتي

وقوله :

وصرّح باطلاق الجمال ولا تقل ... بتقييده ميلاً لزخرف زينة
فكل مليح حسنه من جمالها ... معار له بل حسن كل مليحة
وطب بالهوى نفساً فقد سدت ... أنفس العباد من العبّاد في كل امة
وته ساحباً بالسحب اذيال عاشق ... بوصلٍ على اعلى المجرة جرت [2]

5- ضعف الالفاظ والتراكيب الصوفية :

من يتصفح ما وصل الينا من شعر الصوفية ونثرهم يجد ضعفاً واضحاً في الفاظهم وركة في تراكيبهم اللغوية لان الشعر الصوفي ونثره شعر ديني ونثر ديني يهتم بتأدية المعنى دون الاهتمام باللفظ وان معظم الصوفية كانوا يفتقرون الى ثقافة لغوية وأدبية وفنية تمكنهم من صياغة التعبير الشعري صياغة فنية وان قول الشعر يحتاج الى رياضة فنية ومعاناة وتفرغ للقول الشعري وكان الصوفيون مشغولين عن هذا الجانب وحاولوا الاستعانة بالشعر الغزلي الانساني وطريقتهم في النظم وقد افلحوا حينا واخفقوا حينها " ولا مناص من ان نؤكد ان الشعر الصوفي قد هبط مستواه الفني واللغوي بعد القرن السابع الهجري ، فلم ينجب شعراء مبدعين من طراز ابن عربي وابن الفارض والتلمساني لان التدهور الذي أصاب الشعر العربي عامة في العصور المتأخرة شمل جميع انواع الشعر بما فيها الشعر الصوفي " [1] .

---

[2] المصدر السابق نفسه : ص460 – 461 .

[1] أدوار الشعر الصوفي : ص17 .

قائمة المصادر والمراجع

1- القرآن الكريم .

2- ادب الزهد في العصر العباسي – نشأته وتطوره – د. عبد الستار السيد متولي ، الدار المصرية العامة للكتاب – القاهرة 1984 .

3- ادوار الشعر الصوفي – محاضرات للدكتور علي احمد الزبيدي مكتوبة على الآلة الكاتبة – كلية الآداب – جامعة بغداد 1993 – 1994 .

4- أمراء الشعر العربي في العصر العباسي–انيس المقدسي–دار العلم للملايين–بيروت ط10، 1975

5- تاريخ الادب العربي – عصر الدول والامارات – د. شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر – القاهرة 1966 .

6- تاريخ التصوف الاسلامي – من البداية حتى القرن الثاني الهجري – د. عبد الرحمن بدوي – وكالة المطبوعات – الكويت – 1975 .

7- التصوف الاسلامي في الادب والاخلاق – د. زكي مبارك – مطبعة الرسالة– القاهرة 1938 .

8- التصوف في الشعر العربي – نشأته وتطوره حتى آخر القرن الثالث الهجري د. عبد الحكيم حسان – مطبعة الرسالة القاهرة 1954 .

9- تصويف الزهد وظهور اشعار الحب الالهي – محاضرات للدكتور علي احمد الزبيدي – مكتوبة على الآلة الكاتبة – كلية الآداب – جامعة بغداد 1993 – 1994 .

10- حلية الاولياء – ابو نعيم الاصفهاني (ت 430هـ) دار الكتاب العربي – بيروت ط3 ، 1980

11- الحيوان – ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ – تحقيق عبد السلام محمد هارون – بيروت 1969 .

12- دائرة المعارف الاسلامية مادة " تصوف " بقلم مصطفى عبد الرزاق .

13- الرسالة القشيرية – عبد الكريم القشيري – تحقيق عبد الحليم محمود ومحمد بن شريف – القاهرة 1966 .

14- الروض الفائق في المواعظ والرقائق – الشيخ الحريفيش المطبعة الميمنية – القاهرة 1886 .

15- شعر الحلاج – د. كامل مصطفى الشيبي – مكتبة النهضة بغداد ط1 : 1974 .

16- الشعر الصوفي حتى أفول مدرسة بغداد وظهور الغزالي – د عدنان حسين العوادي – دار الرشيد للنشر – دار الحرية بغداد 1979 .

17- شهيدة العشق الالهي – رابعة العدوية – د عبد الرحمن بدوي – وكالة المطبوعات – الكويت – 1978 .

18- في التصوف الاسلامي وتاريخه – رينولد نيكلسون ترجمة ابي العلاء العفيفي – القاهرة 1956 .

19- اللمع – ابو نصر السرّاج الطوسي – تحقيق عبد الحيم محمود وطه عبد الباقي سرور – مصر 1960 .